

قال ابن قتيبة في المعارف: روى إبراهيم بن صالح عن سعد بن كسيان عن نافع أن عبد الله بن علي أخبره أن المسجد يعني مسجد المدينة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً بلبن وسقفه الجريد وعمدود خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر ثم غرد عثمان فراد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وبالفضة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج ووسعه المهدي سنة ستين ومائة وزاد فيه المأمون زيادة كثيرة ووسعه والمؤذنون فيه من ولد سعد القرظ مولي عمار بن ياسر وقرأت علي موضع زيارة المأمون أمر عبد الله عبد الله بعمارة مسجد رسول الله سنة اثنتين وماتتين طلب ثواب الله وطلب جزاء الله وطلب كرامة الله فإن عنده ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً أمر عبد الله عبد الله بتقوى الله ومراقبته وبصلة الرحم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتعظيم ما صغر الجبابرة من حقوق الله واحياء من أمانوا من العدل وتصغير ما عظموا من العدوان والجور وأن يطاع الله ويطاع من أطاع الله ويعصى من عصى الله فإن لا طاعة لخلق في معصية الله والتسوية بينهم في فيهم ووضع الأثمان مواضعها.

#### معجم ما اسعج

المؤلفات كالأشخاص منها ما يخادنه السعد فيشهر وتداوله الأيدي الجيل ويع الجيل والقرن بعد الآخر ومنها ما ينسى ولا يظهر ومنها ما بين بين. وكتاب معجم ما اسعج لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب البكري الوزير هو من الطكب التي عزت قبل الطباعة وبعدها لقله ما استسخ منها فيلا عصر مؤلفها وبعده في الغالب حتى أن ياقوتاً الرومي في معجم البلدان قال أن لأبي عبيد كتاب المسالك والممالك (ولعله مطبوع) وكتاب معجم ما اسعج من أسماء البقاع ولم آرد بعد البحث عنه والتطلب له. ولكن ما عز على المتقدم قياً للمتأخر فإن إبراهيم

الجنيني من أهل دمشق أكمل نسخ هذا الكتاب المتع سنة ١١٠٠ في دمشق وكان أكمل الجزء الثاني سنة ١٠٩٥ إذ لم يجد الأول ثم بلغه أن في مكة منه عند الشيخ حسن بن العجيمي وبعد ثلاث سنين أرسل له هذا أنه جاء مع رجل نسخة من مصر فنسخها وبعثها لصاحبه الدمشقي فأكمل نسخته وهذه النسخة بعينها هي التي نقلت من جملة ألوف كتب العلم في دمشق عاصمة الشام وعمرت بما مكاتب ألمانيا منذ منتصف القرن الماضي إذ كان القوم هنا لا يحرصون على غير الدينيات واللسانيات من الأمفار.

ولقد قبض الله لنشر هذا المصنف البديع عالماً من علماء المشرقيات من الألمان الأستاذ وستفليد شيخ اللغة العربية في عصره المتوفى سنة ١٨٩٩ فنشره كما نشر معجم البلدان لياقوت ونشر نحو مائتي كتاب من كتب المسلمين في التاريخ والجغرافيا والنسب وغيرها مثل طبقات الحفاظ للذهبي والاشقاق لابن دريد وسيرة ابن هشام والأنساب للسمعاني والمشارك وضعاً والمختلف صقلاً لياقوت وعجائب المخلوقات وآثار البلاد للقرظيني ووفيات الأعيان لابن خلكان فاستحق شكر الأمة العربية بل الآداب العربية كما استحق ذلك الأستاذ دي كوي الهولاندي الذي طبع ثمانية تأليف في الجغرافيا لأئمة هذا الشأن من الأقدمين وسماها المكتبة الجغرافية العربية.

وأبو عبيد البكري هم كما قال ابن مكرم عبد الله بن عبد العزيز محمد البكري من أهل شلطيخ سكن قرطبة يكنى أبا عبيد روى عن أبي مروان بن حيان أبي بكر المصحفي وأبي العباس العنزي سمع منه بالمرية وأجاز له عمر بن عبد البر الحافظ وكان غيرهم من أهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعاني الشعر والغريب والأنساب والأخبار متقناً لما قيده ضابطاً لما كتبه جميل الكتب مهم بما يمسكها في ثياب الشرب إكراماً لها وصيانة وجمع كتاباً في أعلام نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام

أخذه الناس إلى غير ذلك من تواليه وتوفي رحمه الله في شوال سنة سبع وثمانين وأربعمائة.

وترجمة الفتح ابن خاقان في قلاتد العقبان بما صورته: عالم الأوان وقدره ومصنف البيان ومشفه بتواليه كأنها الحرائد وتصانيف أبي من القلاتد حلى بها من الزمان عاطلاً وأرسل بها غمام الإحسان هاطلاً ووضعها في فنون مختلفة وأنواع وأقطعها ما شاء من إتقان وإبداع أما الأدب فهو كان منتهاد ومطحل سهاه وقطب مداره وفلك تمامه وإبداره وكان كل ملك من ملوك الأندلس يتهاداه تهادي المقل للكرى والآذان للبشرى على هناة كانت فيه فإنه رحمه الله مباكر للراح ولا يصحو من خمارها ولا يحو رسم إدمانه من مضمارها ولا يريح إلا على تعاطيها ولا يستريح إلا إلى معاطيها قد اتخذ إدمانها هجيرد ونيد من الأقالع نيد عاصم بن الأيمن مجره فلما حال انقراض شعبان وانصرامه كانت فيه مستبشعة الذكر مستبشعة النكر تمجها الأوهام والحواطر ويشتها السماع المتواتر.

وقد آتت ما يشهد لك بتقدمه ويريك منتهى قدمه رايته وأنا غلام ما أقصر هلاكي ولا نبع في الذكاء كوثرني ولا زلاكي في مجلس ابن منظور وهو في هيئة كأننا كسيت بالبهاء والنور وله سلة يروق العيون إيماضها ويغرق السواد بياضها وقد بلغ سن ابن ملحهم وهو يتكلم فيفوق كل متكلم فجرى ذكر ابن مقلة وخطه وأبيض في رنعه وخطه فقال:

خط ابن مقلة من أرعاد مقلته ... ودت جوارحه وأصبحت مقلاً

فالدر يصفر لاستحسانه حسداً ... والورد يحمر من إبداعه خجلاً

وله فصل من كتاب راجع به الفقيه الأستاذ أبا الحسن بن دريد رحمهما الله: وتالله إني لا أطعم جنى مجاورتك فيقف في اللهاة وأجد لتخيل مجالستك ما يجده الغريق للنجاة وأعتقد في مجاورتك ما يعتقد الجبان في الحياة.

متى تخطى الأيام في بأن أرى ... بغضاً يئاءي أو حياً يقرب

ورأيت رغبتك في الكتاب الذي لم تحور ولم يتهذب وكيف التفرغ لقضاء إرب والنشاط قد ولى وذهب فما أجد إلا كما قيل:

نرراً كما استكرهت عائر نعمة ... من فارة المسلك التي لم تفتن

وان يعن الله على المراد فيك والله يستغاد وبرغبتك أخرجه من الوجود إلى العدم واليك يصل أدنى ظلم بحول الله.

وله فضل من رفعة يهني بها الوزير الأجل أبا بكر بن زيدون بالوزارة: أسعد الله بوزارة سيدي الدنيا والدين وأجرى لها الطير الميامين ووصل بها التأييد والتمكين والحمد لله على أمل بلغه وجدل قد سوغه وضمنان حققه ورجاء صدقه وله المنة في ظلام كان أعزده صحبه ومستيهم غداً شرحة وعطل نجر كان حليه وضلال دهر صار هديه.

فقد عمر الله الوزارة باسمه ... ورد إليها أمهلها بعد إقصاد

هذا هو المؤلف أما تأليفه فقد جعل على حروف المعجم ولكن على طريقة الغاربة أو الطريقة الإفريقية لا طريقة المشاركة فبدأ: اب ت ث ج ح خ د ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ وي. وحقق فيه أسماء البقاع والبلاد والمياه والجبال والبحيرات في بلاد العرب من الحجاز وقنامة واليمن والشام والعراق ونجد والموصل. وغريب والحال حال مؤلفي العرب: أندلسي يعني بلاد المشرق يجيد ولا إجادة المشارق أنفسهم. وهذا الكتاب ضروري كما يقول دوزي المستشرق الهولاندي لمن

يدرسون التاريخ القديم والجغرافيا وشعراء الأقدمين والحديث فيذكر المؤلف رسم  
البلد أو البقعة ويعين مكانها ويستشهد بكثير من الأشعار التي وردت فيها ذكر هذه  
البلدة.

قال المؤلف هذا كتاب معجم ما اسعجم ذكر فيه جملة ما ورد من الحديث والأخبار  
والتواريخ والأسفار من المنازل والديار والقرى والأمصار والجبال والآثار والمياه  
والآبار والدارات والحرار منسوبة محددة. وقد أفاض في المقدمة في الكلام على جزيرة  
العرب وحدودها وقبائلها وما إلى ذلك من الفوائد الجغرافية فاستغرق نحو ٥٥  
صفحة من هذه الطبعة التي طبعت في غوتنغن في (ألمانيا) سنة ١٨٧٦ على الحجر  
والغالب أنها بخط فاشره الأستاذ وستفيلد أجزل الله ثوابه. وإليك مثلاً من وصفه  
خراسان:

خراسان بلاد معروف قال الجرجاني معنى خر كل أو أسان معناه سها أي كل بلا تعب  
وقال غيره معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس والعرب إذا ذكرت مطلع المشرق  
كله قالوا فارس فخراسان من فارس وعلى هذا تأويل حديث النبي صلى الله عليه  
وسلم لو كان الإيمان بالثريا لئله رجال من أهل فارس إنه عنى أهل خراسان لأنك إن  
طلبت مصداق هذا الحديث في فارس لم تجده أولاً ولا آخراً وتجده هذه الصفة نفسها  
في أهل خراسان دخل الإسلام رغبة ومنهم العلماء والنبلاء والمحدثون والمتعبدون  
وأنت إذا أجملت المحدثين في كل بلد في كل بلد وجدت نصفهم من خراسان وجل  
رجال الدولة من خراسان البرامكة والقحاطبة وطاهر وبنود وعلي بن هاشم  
وغيرهم وأما أهل فارس فكانوا كمنار همدت لم يبق لهم بقية ولا شريف يعرف إلا ابن  
المقفع وابنا سهل الفضل والحسن.

ومما قاله في رسم ضريبة وحليت (ص ٦٣٧) جبل أسود في أرض الضباب بعيد ما بين الطرفين كثير معادن التبر وكان به معدن يدعى النجادي كان لرجل من ولد سعد بن أبي وقاص يقال له نجاد بن موسى به سمي ولم يعلم بالأرض معدن أكثر منه نيلاً لقد آثاروه والذهب غال بالآفاق كلها فأرخصوا الذهب بالعراق والحجاز ثم أنه تغير وقل نيله وقد عمله بنو نجاد دهرًا قوم بعد قوم .

ومن فوائدده أيضاً قوله فيما يؤنث من البلاد ويذكر قال: الغالب على أسماء البلاد التانيث والمؤنث منها على أحد أمرين إما أن تكون في علامة فاصلة بينه وبين المذكر كقولك مكة والحزيرة وإما أن يكون اسم المدينة مسغياً بقيام معنى التانيث فيه عن العلامة كقولك حمص وفيد وحلب ودمشق وكل اسم فيه ألف ونون زائدان فهما مذكر بمنزلة الشام والعراق نحو جرجرا وحلوان وهوران وأصفهان وهمذان أشد الفراء:

فلما بدا حوران والآدل دونه ... نظرت فلم تنظر بعينك منظرًا

وانشد أيضاً عن الكسائي:

سقى حلوان ذو الكروم وما ... صف من تينه ومن عينه

هكذا رواد صف بضم الصاد ورواد يعقوب صف بفتحها يقال صف الصر إذا أدرك بعضه ولم يدرك بعض فإن رأيت شيئاً من ذلك مؤنثاً فإنما يذهب فيه إلى معنى المدينة والأغلب على فيد التانيث وكذلك بعليك وقد تقدم ذكر ذلك في رسومها وقال أبو هفان هي ميني وهو ميني وأنشد اللرجي:

سقى مني ثم رواد وساكنه ... وما ثوى فيه واهي الودق مُبعق

وقال الفراء الغالب على منى التذكير والإجراء والغالب على فارس التانيث وترك الإجراء قال الشاعر:

لقد علمت أبناء فارس أنني ... على عربيات النساء غيور

وهجر الغالب عليه التذكير وربما أنثوها وقد أنشدنا شعر الفرزدق في تأنيثها وسجع العرب قال الفراء إنما أجرت العرب هنداً ودعداً وجعلاً وهي مؤنثات ولم يجروا همص وفيد وتوز وهي مؤنثات على ثلاثة أحرف لأنهم يرددون اسم المرأة على غيرها ولا يرددون اسم المدينة على غيرها فلم تردد لم تكثر في الكلام لزمها الثقل وترك الإجراء وقال أبو حاتم حجر اليمامة يذكر ويؤنث قال وفلج مذكر على كل حال وعمان الغالب عليها التأنيث وقباء وأضاح فيذكران ويؤنثان وبدر مذكر قال الله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وحين مذر لأنهما اسمان للنساء قال الله تعالى ويوم حين إذ أعجبكم كثرتكم وربما أنثته العرب لأنه اسم للبقع قال حسان:

نصروا بنهم وشدوا أزرد ... بحين يوم تواكل الأبطال

والحجاز واليمن والشام والعراق ذكران ومصر مؤنثة قال الله تعالى ملك مصر وقال تعالى ادخلوا مصر وقال عامر بن وائلة الكناني لمعاوية أما عمرو بن العاص فانطلقت مصر وأما قول الله عز وجل اهبطوا مصرًا فإنه أراد مصرًا من الأمصار وقرأ سليمان الأعمش اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها سليمان بن علي فلم يجرها. ودابق يذكر ويؤنث من ذكر قال هواسم للنهر ومن أنت قال هواسم للمدينة قال الشاعر في الإجراء:

بدابق وابن مني دابق

وأنشد الفراء في تلك الأجزاء:

لقد ضاع قوم قلدوك أمورهم ... بدابق إذ قيل العدو قريب

ونجد مذكر قال الشاعر:

قال تدعى نجداً دعه من به ... وأن تكني نجداً فيا حذ نجداً

وبعداد تذكر وتؤنث وقد مضى القول في ذلك وذكرنا كم من لغة فيها وصفون  
 وفسرون وماردون والليحون. وكذلك نصيون وفلمطون وقد مضى القول في  
 أعرابها وجرت الغالب عليه التذكير والإجراء وربما أنثوه وقد مضى الشاهد على  
 ذلك وأجاز الفراء أن تقول هذا حراء بالإجراء تقول هذه ثم تذهب إلى الجبل كما  
 تقول ألف درهم والكلام هذا ألف درهم وثير مذكر وكانوا يقولون أشرق ثير  
 كيما تغير وككب معرفة مؤنث لا تجري وهو اسم للجبل ما حوله وقد تقدم إنشاد  
 بيت الأعرابي فيه اهـ.

هذه نموذجات من الكتاب وهو جعبة فوائد للمتأدبين والعالمين وقد وقى في زهاء  
 ٨٥٠ صفحة وأضاف إليه ناشره فهرساً عاماً بأعلامه على عادة علماء المشرقيات  
 في أسفارنا التي يحبوها بالطبع في بلادهم.

### مصير ومسير

كل فرد لغاية هو غاد ... لا يرى غيرها طريق السداد  
 باذلاً جهده وراء الأمانى حيناً يسعى لها في الجهاد  
 غير أن الغايات مختلفات ... فهي بين الإصلاح والفساد  
 والذي ينظر في الدن ... يا بعيني بصيرة واتنقاد  
 لا يرى غير طامع بجمع الما ... ل ويغنى وطامع بازدياد  
 فكان الإنسان ما جاء إلا ... لعاش ما بين ماء وزاد  
 قل لمن يجهل الحياة تفكر ... في مصير الآباء والأجداد  
 كيف كانوا واين صاروا واين الرسل واين القرون من قبل عاد  
 أين أين المكوك واين الرعايا ... أين أين القواد والأجناد  
 أين أين البناة أين الباني ... أين من شيدوا كذات العماد